171 - ـ فصل : مغالطة النفس ليتم العيش .

لما سطرت هذا الفصل المتقدم و رأيت إدكار النفس بما لا بد لها في الطريق منه .

و هو أنه لا بد لها من التلطف فإن قاطع مرحلتين في مرحلة خليق بأن يقف فينبغي أن يقطع الطريق بألطف ممكن .

و إذا تعبت الرواحل نهض الحادي يغنيها و أخذ الراحة للجد جد و غوص السابح في طلب الدر صعود و دوام السير يحسر الإبل و المفازة صعبة .

و من أراد أن يرى التلطف بالنفس فلينظر في سيرة الرسول صلى ا عليه و سلم فإنه كان يتلطف بنفسه و يمازح و يخالط النساء و يقبل و يمص اللسان و يختار المستحسنات و يستعذب له الماء و يختار الماء البارد و الوفق من المطاعم كلحم الظهر و الذراع و الحلوى و هذا كله رفق بالناقة في طريق السير .

فأما من جرد عليها السيوط فإنه يوشك ألا يقطع الطريق .

و قد قال صلى ا عليه و سلم : [إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق فإن المنبت لا أرضا قطع و لا ظهرا ابقى] .

و اعلم أنه ينبغي للعاقل أن يغالط نفسه فيما يكشف العقل عن عوراه فإن فكر المتيقظ قبل مباشرة المرأة إلى أنها اعتناق بجسد يحتوي على قذارة و قبل بلع اللقمة إلى أنها متقلبة في الريق و لو أخرجها الإنسان لفظها .

و لو فكرت في قرب الموت و ما يجري عليه بعده لبغض عاجل لذته .

فلا بد من مغالطة تجري لينتفع الإنسان بعيشة كما قال لبيد : .

(فأكذب النفس إذا حدثتها ... إن صدق النفس يزري بالأمل) .

و قال البستي : .

(أفد طبعك المكدود بالهم راحة ... تجم و ع بشيء من المزح) .

(و لكن إذا أعطيته ذاك فليكن ... بمقدار ما يعطى الطعام من الملح) .

و قال أبو علي بن الشبل : .

(و إذا هممت فناج نفسك بالمنى ... و عدا فخيرات الجنان عدات) .

(و اجعل رجاءك دون بأسك جنة ... حتى تزول بهمك الأوقات) .

(و اسر عن الجلساء بثك إنما ... جلساؤك الحساد و الشمات) .

(و دع التوقع للحوادث إنه ... للحى ـ من قبل الممات ـ ممات) .

(فالهم ليس له ثبات مثل ما ... في أهله ما للسرور ثبات) .

(لولا مغالطة النفوس عقولها ... لم تصف للمتيقظين حياة) .

و قال أيضا : .

(بحفظ الجسم تبقى النفس فيه ... بقاء النار تحفظ بالوعاء) .

(فباليأس الممض فلا تمتها ... و لا تمدد لها طول الرجاء) .

(و عدها في شدائدها رخاء ... و ذكرها الشدائد في الرخاء) .

(يعد صلاحها هذا و هذا ... و بالتركيب منفعة الدواء) .

و قد كان عموم السلف يخضبون الشيب لئلا يرى الإنسان منهم ما يكره .

و إن كان الخضاب لا يعدم النفس علمها بذلك و لكنه نوع مخادعة للنفس .

و ما زالت النفوس ترى الظاهر و إنما الفكر و العقل مع الغائب و لا بد من مغالطة تجري ليتم العيش .

و لو عمل العامل بمقتضى قصر الأمل ما كتب العلم و لا صنف .

فافهم هذا الفصل مع الذي تقدمه فإن الأول في مقام العزيمة و هذا في مكان الرخصة .

و لا بد للتعب من راحة و إعانة و ا D معك على قدر صدق الطلب و قوة اللجأ و خلع الحول و القوة و هو الموفق